ضوابط دراسة الإعجاز القرآنى
فى مجال العمارة والعمران

إن قضية البحث فى مجال الإعجاز العلمى للقرآن الكريم والسنة قضية ليست يسيرة، حيث أنها تتعلق بكتاب الله سبحانه وتعالى وبكلام رسوله الكريم ﷺ، كما أنها تعتبر من الأمور الشائكة لأن الكلام فى هذا الموضوع بغير منهج واضح وضوابط محددة ربما يأتى بنتيجة عكسية، فبدلا من إظهار أحد جوانب الإعجاز فى كلام الله نعطى الفرصة للمتربصين بالإسلام والمسلمين للتشكيك فى عطاء هذا الكتاب القيم المنزل من عند الله سبحانه وتعالى على رسوله الأمين ﷺ، من أجل هداية العالمين.

لذلك فقد رأينا أنه من اللازم أن يكون الموضوع الأساسى لهذا الفصل من هذا البحث، هو توضيح بعض المفاهيم والضوابط المتعلقة بالبحث فى موضوع الإعجاز العلمى للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بصفة عامة، مع إيضاح المراد بدراسة جانب الإعجاز القرآنى فى مجال علوم العمران والبنيان بتوضيح نطاق هذه العلوم، بحيث تصبح هذه الضوابط هى المحددات التى يسترشد بها الباحث عند تناول

بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى يرى أنها تحتوى على وجه من أوجه الإعجاز العلمى، كل فى مجال تخصصه.

أولا: الفرق بين التفسير العلمى والإعجاز العلمى :

* **تعريف العلم:** العلم هو إدراك الأشياء على حقائقها، أو هو صفة ينكشف بها المطلوب انكشافا تاما، والمقصود بالعلم فى هذا المقام العلم التجريبي[1].

ومن التعريفات الأخرى للعلم[2]: "هو مجموعة المعارف التى تم التوصل إليها عن طريق استخدام "المنهج العلمي"، والذى يعرف بدوره على أنه ذلك المنهج المؤسس على التجربة، والذى تحكمه الاستنتاجات المبنية على المنطق العلمى أو النماذج الرياضية أو الطرق الإحصائية".

* **تعريف التفسير:** التفسير فى اللغة مشتق من السفر وهو الإبانة والكشف، أما فى الاصطلاح فله تعريفات منها تعريفه بأنه: علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه ﷺ، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، وهذا التعريف شامل لأنواع التفسير كلها سواء ما كانت عنايته ببيان الألفاظ والتراكيب، أو ما عنى باستخراج الأحكام والحكم، ومن هذا الأخير التفسير العلمى الذى يتناول العلوم الكونية والصنائع والمعارف، كعلم الهندسة والحساب والهيئة والاقتصاد والاجتماع والطبيعة والكيمياء والحيوان والنبات وعلم طبقات الأرض[3].

* **التفسير العلمى:** هو اجتهاد المفسر فى كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبى على وجه يظهر به إعجاز للقرآن يدل على

---

(١)الفرق بين الإعجاز العلمى والتفسير العلمى (١٤٢٣هجرية). مجلة الإعجاز العلمى، عدد(١٢)، الهيئة العالمية للإعجاز العلمى فى القرآن والسنة، جدة، ص٥٩.

(٢) عدنان بافقيه (١٤٢٤هجرية). العلم مفتاح للإعجاز. مجلة الإعجاز العلمى، عدد(١٥)، الهيئة العالمية للإعجاز العلمى فى القرآن والسنة، جدة، ص٤٧.

(٣) الفرق بين الإعجاز العلمى والتفسير العلمى: مرجع سابق، ص٥٩.

مصدره وصلاحيته لكل زمان ومكان[1]، وأجود من هذا التعريف وأعم، تعريفه بأنه[2]: "هو الكشف عن معانى الآية أو الحديث فى ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية".

* **الإعجاز**: الإعجاز لغة مشتق من العجز، وهو الضعف وعدم القوة، والإعجاز مصدر أعجز وهو بمعنى الفوت والسبق، والمعجزة فى اصطلاح العلماء أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى سالم من المعارضة، وإعجاز القرآن يقصد به إعجاز القرآن الناس أن يأتوا بمثله، أى نسبة العجز إلى الناس بسبب عدم قدرتهم على الإتيان بمثله[3].

* **الإعجاز العلمى**: هو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبى أخيراً وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية فى زمن الرسول ﷺ.

وهكذا يظهر اشتمال القرآن أو الحديث على الحقيقة الكونية التى يؤول (يصير وينتهي) إليها معنى الآية أو الحديث ويشاهد الناس مصداقها فى الكون فيستقر عندها التفسير ويعلم بها التأويل، كما قال تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[4]، وقد تتجلى مشاهد أخرى كونية عبر القرون، تزيد المعنى المستقر وضوحاً وعمقاً وشمولاً لأن الرسول ﷺ قد أوتى جوامع الكلم، فيزداد بها الإعجاز عمقاً وشمولاً، كما تزداد السنة الكونية وضوحا بكثرة شواهدها المندرجة تحت حكمها[5].

---

(١) المرجع نفسه: ص٥٩.

(٢) عبد المجيد الزندانى: موقع الهيئة العالمية للقرآن الكريم والسنة على الانترنت:
(WWW. Aleijaz. Net).

(٣) الفرق بين الإعجاز العلمى والتفسير العلمى: مرجع سابق، ص٥٩.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٦٧.

(٥) عبد المجيد الزندانى: المرجع سابق.

والذى يميز الإعجاز العلمى عن غيره من أنواع الإعجاز الأخرى للقرآن الكريم (كالإعجاز التشريعى أو البلاغي)، هو مصداقية العلم التى تكاد تكون مطلقة فى نظر بعض الناس مقارنة مع غيره من مجالات المعرفة البشرية، فقد حظى العلم بمرتبة متميزة فى عصرنا هذا وضعته فى قمة الهرم المعرفى، وأسبغت عليه ثوب المرجعية فيما هو صحيح وما هو خطأ[1].

لذلك حاول بعض المتدينين والمطلعين على الثقافة العلمية الحديثة، بعد أن لمسوا الإشارات القرآنية الكثيرة للأمور الكونية الاستفادة من "مرجعية" العلم (الموثوق بها) وانبهار الناس به مسلمهم وكافرهم لإثبات صدق الرسالة المحمدية، لكنهم فى سعيهم لهذا الإثبات استخدموا سلاحا ذا حدين، إذ أنهم كرسوا مرجعية العلم وأقروا بها دون مراجعة أو تدقيق، فجعلوا النصوص الشرعية وعلى غير قصد منهم فى موقف المتهم حتى يثبت العلم براءتها، فظهرت تأويلات غير ضرورية لنصوص شرعية ثابتة، بحجة أنها تخالف الحقائق العلمية المقررة.

من أجل ذلك كان يجب قبل البحث فى ظاهرة الإعجاز العلمى للقرآن الكريم والسنة النبوية، التعرف على ضوابط وقواعد البحث فى هذا النوع من الإعجاز، حتى لا ينزلق الباحثون فى هذا المجال إلى مزالق خطيرة لاتحمد عقباها.

ثانيا: قواعد وأسس أبحاث الإعجاز العلمى:

دراسات الإعجاز القرآنى منذ أن بدأت أخضعها العلماء المسلمون لضوابط معينة، ولقيت هذه الضوابط اهتماما من كل الباحثين، وأهم ضوابط الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم التى قال بها العلماء هى التالية[2]:

أ- علم الله هو العلم الشامل المحيط الذى لا يعتريه خطأ، ولا يشوبه نقص، وعلم الإنسان محدود ويقبل الازدياد ومعرض للخطأ.

---

(١) عدنان بافقيه: مرجع سابق، ص ٤٦.

(٢) عبد المجيد الزندانى: مرجع سابق.

ب- هناك نصوص من الوحى قطعية الدلالة، كما أن هناك حقائق علمية كونية قطعية.

ج- وفى الوحى نصوص ظنية فى دلالتها، وفى العلم نظريات ظنية فى ثبوتها.

د- لا يمكن أن يقع صدام بين قطعى من الوحى وقطعى من العلم التجريبى، فإن وقع فى الظاهر، فلابد أن هناك خللا فى اعتبار قطعية أحدهما وهذه قاعدة جليلة قررها علماء المسلمين وقد آلف أبوالعباس ابن تيمية كتاباً من أحد عشر مجلداً لبيانها تحت عنوان: (درء تعارض العقل والنقل).

و- عندما يرى الله عباده آية من آياته فى الآفاق أو فى الأنفس مصدقة لآية فى كتابه، أو حديث من أحاديث رسوله ﷺ، يتضح المعنى ويكتمل التوافق ويستقر التفسير، وتتحدد دلالات ألفاظ النصوص بما كشف من حقائق علمية وهذا هو الإعجاز.

ز- أن نصوص الوحى قد نزلت بألفاظ جامعة فقد قال ﷺ: "بعثت بجوامع الكلم"[1]، مما يدل على أن النصوص التى وردت عن النبى ﷺ تحيط بكل المعانى الصحيحة فى مواضيعها التى قد تتابع فى ظهورها جيلاً بعد جيل.

ح- إذا وقع التعارض بين دلالة قطعية للنص وبين نظرية علمية رفضت هذه النظرية لأن النص وحى من الذى أحاط بكل شئ علماً، وإذا وقع التوافق بينهما كان النص دليلاً على صحة تلك النظرية وإذا كان النص ظنياً والحقيقة العلمية قطعية يؤول النص بها.

ط- إذا وقع التعارض بين حقيقة علمية قطعية، وبين حديث ظنى فى ثبوته، فيؤول الظنى من الحديث ليتفق مع الحقيقة القطعية وحيث لا يوجد مجال للتوفيق فيقدم القطعى.

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم والنسائى.

ثالثا: تحديد نطاق دراسة الإعجاز القرآنى فى علوم العمارة والعمران:

يمكن اعتبار أن دراسة الإعجاز العلمى للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فى مجال علوم العمران والبنيان من المجالات الجديدة فى هذا الشأن، بعكس بعض الفروع العلمية الأخرى والتى يأتى على رأسها علوم الطب أو علوم الأرض والجيولوجيا وغيرها، حيث أظهر المتخصصون العديد من أوجه الإعجاز القرآنى فيها.

لذلك فانه يلزم التعريف بعلوم العمران والبنيان بصفة عامة، حيث أنها هى المحور الأساسى لهذا البحث، والذى لايمكن أن نخوض فيه دون توضيح فروع وتخصصات هذا النوع من العلوم الهندسية.

توجد العديد من التعريفات التى وضعها المتخصصون والخبراء لتعريف علم "الهندسة المعمارية"، من أبسط وأعم هذه التعريفات أن "العمارة علم وفن"، ومنها ما يرى أن فن العمارة هو[1]: "الفضاء المحصور بين الجدران"، ومن وجهة نظر معينة يمكن تعريف العمارة بأنها[2]: "أسلوب توجيه الحركة داخل الفراغات المعمارية"، إلى جانب العديد من التعريفات الأخرى والتى لاتخرج عن المعانى والمفاهيم السابقة.

أما من الناحية المهنية فيتم تعريف فرع الهندسة المعمارية بأنه[3]: "مهنة فنية حرة كريمة بعيدة عن الكسب المادى مجالها التعمير والبناء للإنسان أينما كان وحسبما يحتاج من خدمات وما يزاوله من نشاط وإنتاج".

ويرى الباحثون والمتخصصون أن مجال ونطاق علوم العمارة والعمران يمكن أن يتضح من خلال التعريفات والتخصصات الدقيقة التالية[4]:

---

(١) يحيى وزيرى (٢٠٠٢). المجتمع وثقافة العمران. مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ص٥.

(٢) يحيى وزيرى (التعمير فى القرآن والسنة): مرجع سابق، ص١١١.

(٣) لائحة مزاولة مهنة الهندسة المعمارية (١٩٩٦). شعبة الهندسة المعمارية، نقابة المهندسين، القاهرة، ص١١.

(٤) هشام أبو سعدة (٢٠٠٣). مهنة عمارة البيئة. النشرة العلمية لبحوث العمران، عدد(٣)، كلية التخطيط الاقليمى والعمرانى، جامعة القاهرة، ص٤٥.

* **العمارة**: فن علمى لإقامة الكتل فى أبعاده الثلاثة بشرط توفير احتياجات الناس.
* **التصميم الداخلى**: فن علمى أيضا لتنظيم الفراغ داخل الكتلة وتحقيق الوظيفة والجمال.
* **تخطيط المدن**: علم توزيع استعمالات الأراضى المعدة لاستقبال الكتل عليها، واختيار أماكنها ووضع سياسات واشتراطات التوزيع.
* **تخطيط المواقع**: علم توزيع الكتل على الأرض وتنظيم تشكيل الفراغ وفن متطلبات المستعملين.
* **التصميم العمرانى أو عمارة المدن**: علم تنظيم العلاقة بين الكتلة والفراغ، بشرط احترام السلوك الانسانى للجماعة الواحدة سواء فى المناطق القائمة بالفعل للحفاظ عليها أو المناطق الجديدة لتنميتها.
* **عمارة البيئة أو التصميم الخارجى**: فن علمى لتنظيم الأمكنة الخارجية المفتوحة على الأرض (ومنها الفراغ حول الكتل وبينها) بشرط احترام اعتبارات قوى الطبيعة والإنسان والبناء المصنوع بمعرفة الإنسان، لدعم الجمال وتحقيق الاحتياج فى الخارج والحفاظ على البيئة الطبيعية والاصطناعية.

وبرؤية أكثر شمولية فان مجال علوم العمران والبنيان تبدأ من مستوى تخطيط المدن وتنسيق حدائقها وفراغاتها الخارجية وتنتهى ببناء المبانى وتصميمها الداخلى، ولكى يتم إنجاز عمل متقن لكل مستوى من هذه المستويات فان التخصص يكون لازما فى إطار التكامل والتداخل بينها فى غالب الأحوال، ولكن يظل التخصص الدقيق مطلوب وبخاصة فى العصر الحديث مع اتساع نطاق المعارف الإنسانية بصفة عامة.

- وفى ظل الرؤية السابقة لعلوم العمارة والعمران والبنيان يتم تحديد مجال البحث والدراسة فى أحد أوجه الإعجاز القرآنى، ونقصد به الإعجاز القرآنى فى مجال علوم العمران والبنيان، لينضم إلى باقى مجالات بحوث الإعجاز العلمى المعروفة (كالطب والفلك وعلوم البحار وغيرها) أو المستجدة (كالعلوم التشريعية

والاجتماعية)، وليفتح بابا جديدا من أبواب الإعجاز القرآنى لم يأخذ حقه من الدراسة والبحث فيما مضى.

لقد حاولنا فى هذا البحث أن نقدم رؤية متكاملة وعرضا شاملا، بقدر الامكان، للآيات القرآنية التى يمكن أن يكون بها إعجازا علميا فى مجال علوم العمران والبنيان، فى محاولة لإعطاء فكرة متكاملة لأحد مجالات وفروع الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.